المعرفة فى فكر ابن باجة وعلاقتها بالسعادة

ممدوح أحمد محمد الغباشى

مدرس بكلية أصول الدين

والدعوة الإسلامية بالمنوفية

قسم العقيدة والفلسفة

لجنة التحكيم

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز عبد الله عبيد

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن محمد المراكبى

المعرفة في فكر ابن باجة وعلاقتها بالسعادة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ،وعلى آله وإخوانه وأصحابه والتابعين.

وبعد

قبل الحديث عن المعرفة عند ابن باجة وعلاقتها بالسعادة يتوجب علىّ أن أذكر نذة مختصرة عن :

١- المقصود بنظرية المعرفة :

يقصد بنظرية المعرفة: « الطريق الذي يختاره الإنسان كي يصل من خلاله إلى معرفة نفسه، ومعرفة الكون حوله، ومعرفة خالقه سبحانه وتعالى.

أويرادبها: الوسيلة التي يري الإنسان أنها مأمونة وكفيلة بأن يصل من خلالها إلي معرفة نفسه، ومعرفة العالم الذي يعيش فيه، ومعرفة فاعل هذا وذاك: خالق الكل، ومدبر الكل- عزوجل- »[١].

وقيل إنها «تعني البحث في المشكلات القائمة علي العلاقة بين الشخص والموضوع، أوبين العارف والمعروف، وفي وسائل المعرفة فطرية أو مكتسبة»[٢].

١- نظرية المعرفة د/ محمود محمد مزروعة، بحث ضمن حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، دار الطباعة المحمدية، القاهرة(١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م) : ٧/ص.

٢- الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلاقة الجوهري، دار الحضارة العربية، بيروت ط : الأولى ١٩٧٤م : ٢/٨٣ص.

٢- ابن باجة مولده ونشأته:

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ، ويعرف «بابن باجة[١]» ،وكلمة باجة في اللغة الأسبانية معناها:«الفضة»، وبهذا تنعقد الصلة بين كلمتي« ابن الصائغ، وابن باجة»، وقد حرف الأوربيون في القرون الوسيطة اسم ابن باجة فنطقوه:« أفيمباس»[٢].

ولا يعرف تاريخ ميلاد ابن باجة علي وجه التحديد، وكذلك لا يعرف شيء يذكر عن: طفولته، ومبدأ شبابه، وإنما كل الذي استطاع المؤرخون أن يؤكدوه في هذا الصدد هو: أنه عاش في«إشبيلية»، و «غرناطة»،«وفاس».

يقول أحد الباحثين:« ولد ابن باجة في « سرقسطة، واستوزره والي« غرناطة»، ثم والي«سرقسطة»، وذهب إلى «فاس» فاتهم بالإلحاد، ومات فيها، وقيل إنه مات مسموما علي يد منافسيه من الأطباء، وكانت وفاته سنة (١١٣٨م- ٥٣٣هـ).[٣]

٣- آثاره العلمية ومكانته:

يعد ابن باجة من أشهر علماء العرب في الأندلس ، وكان مشهورا بالطب، والرياضيات، والفلك، ويشبه الفارابى في تفوقه في الموسيقى، لاسيما الضرب على العود.[٤]

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعه ، ط : بيروت، دون ، ص ٥١٥ .

٢- الفلسفة الإسلامية في المغرب،د/ محمد غلاب، القاهرة ١٩٤٨م ،ص ٢٧.

٣- ابن باجة،د/ محمود قاسم، بحث ضمن معجم أعلام الفكر الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م، ص ٤٩.

٤- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب ، محمد لطفي جمعه، المكتبة العلمية، بيروت، دون،ص ٧٩.

وهو أول مفكر أندلسي استطاع أن يستوعب الكتابات الفلسفية التي ظهرت في الشرق العربي، والتي انتشرت في أسبانيا منذ عهده الحكم الثاني» (٩٦١-٩٧٦م)، وهو أول من أذاع العلوم الفلسفية في الأندلس[١].

ولقد أكثر ابن باجة من التأليف، وذكر» ابن أبي أصيبعة» مؤلفاته، وقال...بعض هذه الكتب من وضعه الخاص، والبعض الآخر شروح لكتب أرسطو، وبعض كتب أبي نصر الفارابي [٢].

والذي سنعتمد عليه من مؤلفاته: ما كان من وضعه الخاص مثل كتاب: «تدبيرالمتوحد»، ورسالة «الاتصال»، ورسالة «الوداع»، وبعض الرسائل الأخري التي قام بتحقيقها د /ماجد فخري تحت عنوان « رسائل ابن باجة الإلهية»، وبعض الرسائل الأخري التي قام بتحقيقها د /عبد الرحمن بدوي تحت عنوان: «رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي»

ونتيجة لمؤلفاته العلمية، ونبوغه في بعض العلوم: جعل كثيرا من العلماء يثنون عليه، وبخاصة علماء عصره وأتباعه، مما يدل على علو منزلته، ومكانته الفلسفية التى كان لها تأثير واضح في البعض ممن جاء بعده، وبخاصة ابن رشد، كما ذكر ذلك بعض الباحثين[٣].

١- تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفاخوري،د/ خليل الجر، دار الجيل بيروت ١٩٨٢ م، ٣٤٤/٢، ٣٤٥.

٢- عيون الأنباء، ص ٥١٦.

٣- ينظر : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام،د/ محمدأبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، دون، ص ٥٦٣.

نظرية المعرفة:

طبع ابن باجة الفلسفة العربية في المغرب في نظرية المعرفة بطابع جديد يختلف تمام الاختلاف عن الطابع الذي كان الغزالي قد طبعها به في الشرق بعد أن خلا له الجو بوفاة أعلام الفلاسفة، وهو أن الإلهام أهم وأوثق مصادر المعرفة، فلما جاء ابن باجة هاجم هذا الرأي، وقرر أن الفرد يستطيع أن يصل إلي نهاية المعرفة ويندمج في العقل الفعال إذا تخلص من رذائل المجتمع وانفرد بنفسه، واستخدم قواه العقلية في تحصيل أكبر قسط من الثقافة والعلم، وغلب الناحية الفكرية في ذاته علي الفكرة الحيوانية.[١]

طرق المعرفة:

إذا كانت الطرق التي سلكها الناس لتحصيل المعرفة تنحصر في ثلاثة وهي:

(أ) الحس، أوالطريق الحسي، وقد يسمي بالطريق المادي.

(ب) العقل، أوالطريق العقلي أوالعقلاني، وقد يطلق عليه النظر العقلي أوالتفلسف.

(ج) الوحي، أوالتلقي عن الغيب، بطرقه المتعددة.[٢]

فأي هذه الطرق سلكها ابن باجة لتحصيل المعرفة ؟

الواضح مما هو بين أيدينا من مؤلفات ابن باجة: أنه تحدث عن طرق المعرفة الثلاثة: الحس، والعقل، والوحي.

وحين يتحدث عن المعرفة الحسية، والعقلية يربط بينهما برباط وثيق، بل ويجعل المعرفة الحسية وسيلة حصول المعرفة الفعلية- يقصد العقلية- لدي المتوحد، وذلك

١- الفلسفة الإسلامية في المغرب ،د / محمد غلاب، ص ٣٦، ٣٧.

٢- نظرية المعرفة، د/ محمود مزروعة، ص ٧.

باستخدام قواه العارفة فى تكوين المعلومات، ثم يجردها من علائقها المادية، فإذا تم له ذلك أجرى عليها مايلتئم معها من التأمل فتتحقق له المعرفة الكاملة.[١]

ويري ابن باجة: أنه لكي تتحقق المعرفة الكاملة للإنسان لابد من اجتياز مراتب المعرفة واحدة إثر الأخرى حتى يصل إلى أقصاها.

وفي هذا المعني يقول ابن باجة:« فالإنسان له أولا الصورة الروحانية على مراتبها، ثم بها يتصل بالمعقول، ثم يتصل بهذا المعقول إلى العقل الآخر- يقصد العقل الفعال- فالارتقاء إذن من الصورة الروحانية يشبه الصعود، فإذا كان ممكنا أن يوجد الأمر بالضد أشبه الهبوط »[٢]

والواضح من كلام ابن باجة أنه يتحدث عن مراتب المعرفة العقلية، وأنه يضمنها المعرفة الحسية.

مراتب المعرفة العقلية عند ابن باجة:

إذا كان ابن باجة يري أن للمعرفة العقلية ثلاث مراتب، وهي:

(أ) الصورة الروحانية.

(ب) المعقول.

(ج) العقل الآخر.

فما معني كل مرتبة من هذه المراتب التي قال بها ابن باجة ؟

لكى تتضح لنا مراتب المعرفة الثلاث لابد من اللجوء إلي نصوص ابن باجة حتى نقف على مفهوم كل من:الصورة الروحانية، والمعقول، والعقل الآخر.

١- الفلسفة الإسلامية فى المغرب، د/ محمد غلاب،ص ٣٨.

٢- رسالة الاتصال ، ابن باجة، ضمن تلخيص كتاب النفس لابن رشد، تحقيق د/ أحمد فؤاد الأهوانى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،١٩٥٠م، ص ١١١.

(أ) الصورة الروحانية أو المعرفة الحسية:

وهي تعني عند ابن باجة: الحس نفسه، وهو في هذا يقول: «فإن كل حيوان فهو حساس، فالحس صورة روحانية يدرك بها الحيوان ذلك الجسم، فلذلك لا يخلو الحيوان من معرفة»[١]

وهذا يعني أن المعرفة عند ابن باجة تبدأ حسية، وهذا النوع من المعرفة يعده ابن باجة أدني أنواع المعارف إذيشترك فيه الإنسان مع غيره.

وهذا النوع من المعرفة غير ثابت، ذلك لأن المحس غير ثابت لأنه في صيرورة دائمة، ولذا فهي كثيرا ماتخدعنا، بل إن الحواس نفسها قد يلحقها من العطب ما يعطل عملها أو يجعل هذا العمل لا يتسم بالدقة لأنه لا يصور تصويرا دقيقا ماهية الأشياء.

ومع أن المعرفة الحسية غير ثابتة ولا تتسم بالدقة، وأنها أدني أنواع المعرفة عند ابن باجة وغيره من الفلاسفة إلا أنها وسيلة للانتقال إلي نوع آخر من المعرفة، لا يصل الإنسان إليه إلا عن طريقها وهو:

(ب) المعقول وعلاقته بالصورة الروحانية.او المعرفة العقلية وعلاقتها بالمعرفة الحسية.

ويري ابن باجة أن المعقول مرتبط بالقوة الفكرية التي هي من خصائص الإنسان، مثلما أن الصورة الروحانية مرتبطة بالقوة الحسية التي هي من خصائص الإنسان والحيوان.

وهو في هذا يقول:« والقوة الفكرية إنما تحصل له- أي للإنسان- إذا حصلت المعقولات، فبحصول المعقولات تحدث الشهوة المحركة إلي الفكر، وما يكون عنه، وبهذه- أي بالقوة الفكرية- هو الشخص إنسان لابتلك»[٢]- يقصد الصورة الجسمانية-.

١- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١٠٦.

٢- السابق نفسه، الصفحة ذاتها.

والمعقول عند ابن باجة ليس صورة للهيولى، ولا صورة روحانية، ولكن مع ذلك له علاقة بالصورة الروحانية، لأن الصور الروحانية هى بمثابة الهيولى بالنسبة إلى المعقول، والمعقول هو صورة تلك الصور الروحانية.

وفي هذا يقول ابن باجة :«فأما المعقول فإنه ليس صورة الهيولي أصلها، ولا هو صورة روحانية لجسم وجود ذلك الجسم به كالخيالات، بل هو صورة هيولاها الصور الروحانية الخيالية المتوسطة»[1].

وهذا يعني أن إدراك الصور الفكرية يكون بالعقل الذى يجرد الصورة الجسمانية من مادتها ويحتفظ الإنسان بصورة تلك الصور الجسمانية بعد غياب مادتها فى الحافظة والذاكرة.

وهذه الرتبة من المعرفة وإن كانت أعلى من سابقتها إلا أنها تعتبر أدنى مما فوقها، ومع ذلك فهى وسيلة للوصول إلى أعلى رتبة في المعرفة والكمال الإنسانى كما يزعم ابن باجة ومن سبقه من الفلاسفة- عدا الكندي والغزالى وابن خلدون-، وهى

(جـ) الرتبة الثالثة من مراتب المعرفة عند ابن باجة: المعرفة العقلية الخالصة، أو الاتصال بالعقل الفعال.

ويعبر ابن باجة عن العقل الفعال في مؤلفاته: **بالعقل الآخر**- أي العقل الفعال- وهو عقل واحد، لا يستطيع الاتصال به إلا من أطاع الله وعمل ما يرضاه.

وفي هذا يقول ابن باجة:« وظاهر أن هذا العقل الذي يكون واحدا هو ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده فلذلك ليس هو- العقل الفعال- المثاب والمعاقب، بل هو الثواب والنعمة على مجموع قوى النفس، وهو الثواب والعقاب للنفس النزوعية،

١- رسالة الاتصال، ابن باجة ، ص ١٠٧.

وهي الخاطئة والمصيبة، فمن أطاع الله وعمل ما يرضاه، أثابه بهذا العقل، وجعل له نورا بين يديه يهتدي به، ومن عصاه وعمل مالا يرضاه حجبه عنه، فبقي في ظلمات الجهالة مطبقة عليه، حتي يفارق الجسد محجوبا عنه، سائرا في سخطه »[١].

وهذه الرتبة من المعرفة التي مصدرها العقل تعد في نظر ابن باجة أرقى أنواع المعرفة التي يمكن أن يصل إليها إنسان. ويري ابن باجة أن العقل الإنساني يبلغ كماله عن طريق النظر العقلي الخالص الذي هو مصدر كل معرفة، ومصدر السعادة العظمى، لأن المعقول هو غاية فى ذاته.

والصور المعقولة عند ابن باجة على مراتب: أدناها الصور الهيولانية، وأعلاها العقول المفارقة.-

والعقل الإنساني في إدراكه لهذه الصور كذلك يكون علي مراتب: فهو يبدأ عقلا منفعلا، ثم ينتهي إلى أن يصير عقلا فعالا فيدرك العقول المفارقة.

أو بمعني آخر أن الصور العقلية من أدناها، وهي الصور الجسمانية إلى أعلاها، وهي العقول المفارقة تؤلف سلسلة، والعقل الإنساني يجتاز فى تكامله مراحل تقابل هذه السلسلة.

ويصور ابن باجة نموذج العقل إلى أن يصل إلي المعرفة الكلية الخالصة كالتالي:

أن العقل يبدأ في مرحلة الصعود بإدراك الصور المادية للجسمانيات، ثم يدرك الصور المتوسطة بين الحس والعقل، ثم العقل الإنساني ذاته إلى أن يصير عقلا فعالا، وهناك يدرك عقول الأفلاك المفارقة، ثم الواحد الأول.

ومن هنا فإن الإنسان في ترقية من الجزئي المحسوس إلي المجرد يدرك كل ماهو

١- رسالة الاتصال، ابن باجة، ص ١٠٨.

فوق طور الإنسان حتي يصل إلي ماهو إلهي.

فالمعرفة عنده وإن كانت تبدأ بالحواس إلا أنها تأتى يقينية عن طريق العقل[١].

فالكمال الإنساني يمكن الوصول إليه حسب نظرية ابن باجة في المعرفة- عن طريق التدرج في معرفة الصورة المعقولة من أدناها- أي من الصور المادية -إلى أعلاها- وهي الاتصال بالعقل الفعال.

وهذا يعني أن المعرفة عنده تبدأ حسية وتتدرج فى سلم صاعد حتى تصير عقلية خالصة كما هو الحال عند جميع من سبقه من الفلاسفة، وبخاصة أفلاطون وأرسطو من فلاسفة اليونان، والكندي والفارابي، وابن سينا من فلاسفة المشرق الإسلامي.

«وبهذا يكون ابن باجة أول من استغل من مفكرى الأندلس المسلمين آراء فلاسفة الشرق، ولوفى هذه النظرية على الأقل»[٢].

ولكن: هل الترقي في درجات المعرفة حتي الاتصال بالعقل الفعال متاح للناس جميعا ؟

يجيب ابن باجة على ذلك :« بأنه ليس في مكنة الناس جميعا الترقى فى درجات المعرفة حتى الوصول إلى العقل الفعال ، إذ لا يدرك المعرفة العقلية الخالصة إلا نفر قليل من الناس.

وهذا يعنى أن العقل الفعال موهبة من الله لعباده الذين يرضى عنهم، ولا يحظى به غير السعداء»[٣]

١- تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المغرب، د/ محمد ابراهيم الفيومى، دار المعارف، مصر ١٩٩٢م، ص ٣٧٥.

٢ - الفلسفة الإسلامية فى المغرب، د/ محمد غلاب، ص ٣٩، - ٤٠.

٣- رسالة الاتصال، ابن باجة ، ص ١١٣.

وذكر ابن باجة بعضا ممن حظي بالاتصال بالعقل الفعال " أرسطو "ومن لهم حال "أرسطو" »[١].

ولكن إذا كان السعداء يصلون إلي هذه الرتبة من المعرفة باتباع طريق الصعود من الصورة الروحانية إلى الاتصال بالعقل الفعال، ألا يمكن أيضا أن يحدث هذا الاتصال من قبل العقل الفعال ذاته ، ودون ارتقاء هذه المراتب ؟

يجيب ابن باجة علي هذا السؤال فيقول:إن طريق الهبوط- اتصال العقل الفعال بالإنسان- غير ممكن، وإن كان ممكنا فإن هذا الطريق الهابط لم يتحقق إلا لأرسطو ومن جرى مجراه. يقول ابن باجة:« فإن كان من وصل الرتبة ممكنا فيه أن يعود فيهبط ، لو كان ممكنا ذلك، لكان ذلك تحركا وتحريكا ، لكن ذلك غير ممكن فيه، ولذلك يقول بعض رؤساء المتصوفين:(لو وصلوا مارجعوا) وإنما يمكن في أرسطو- ومن جرى مجراه- الحال الشبيهة بالهبوط والرجوع، وأمثال المعنى الذي تدل عليه هذه الأسامي، العمل علي تلك المتوسطة، وذلك من حيث أحوال الصعود »[٢]

وواضح من هذا النص: أن طريق الهبوط غير ممكن، وإذا أمكن فهو لا يمكن من حيث اتصال العقل الفعال بالعقل الهيولاني، بل من حيث مقدرة من وصل إلى هذه المرتبة على الهبوط، مثل مقدرته على الصعود ، ومن حيث تمكنه من العمل على تلك الرتب المتوسطة التي تقع بين الطرفين: الصورة الروحانية، والاتصال بالعقل الفعال.

وبهذا يكون هناك سبيل واحد للمعرفة، وهو الصعود.[٣]

١- السابقة نفسه ، ص ١١٥.

٢- رسالة الاتصال ، ابن باجة ،ص ١١٢.

٣- ابن باجة، تدبير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م ،ص ١٣٢.

وبهذا يقترب ابن باجة من الفلسفة المشائية (أعنى فلسفة أرسطو، والفارابي، وابن سينا، وذلك عندما يجعل الصور باختلافها «أدناها: وهي الصور الهيولانية، إلى أعلاها، وهى العقل المفارق، تؤلف سلسلة، والعقل الإنسانى يجتاز في تكامله مراحل تقابل تلك السلسلة حتى يصير عقلا كاملا، ويتصل بالعقل الفعال، وواجب الإنسان هو أن يدرك الصور المعقولة جميعا، فيدرك أولا: الصور المعقولة للجسمانيات، ثم التصورات النفسية المتوسطة بين الحس والعقل، ثم العقل الإنسانى ذاته، والعقل الفعال الذى فوق، ثم ينتهى إلى عقول الأفلاك المفارقة.

والإنسان بعروجه في درجات متتالية، وترقيه من الجزئى والمحسوس، يصل إلى ماهو فوق طور الإنسان، وإلى ماهو إلهى، والذي يرشد الإنسان فى هذا العروج هو: الفلسفة.[١]

فالمعرفة العقلية عند ابن باجة هي السبيل إلي الكمال الإنسانى، وذلك لأن الإنسان حسب هذه النظرية يعيش وفق دواعى العقل، فهو يستند إلى العقل وحده لكى يصل إلى تكامله، لا ينزع إلى لذة حسية أوخيالات صوفية قد تعوقه عن الوصول إلى ما ينبغي.

والكمال الإنسان عند ابن باجة إنما يكون بالإتصال بالعقل الفعال والنظر العقلي المجرد من مراحله- التي سبق أن أشرت إليها- هو وحده السبيل لكي يصير عقل الإنسان عقلا فعالا ما فيتحقق كماله. أو بمعني آخر: أن الكمال الإنساني يتحقق إذا أدرك الإنسان الكلي اللامتناهي، وهذا الإدراك لا يمكن الوصول إليه بالخيالات الصوفية، وذلك لأن اللذة الحسية في نظر ابن باجة تحجب الحقيقة، والسبيل للوصول

١- تاريخ الفلسفة فى الإسلام، دى بور، ترجمة د/ محمد عبد الهادى أبو ريده، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م) ص ٣٧٠، المذهب الإشراقى بين الفلسفة والدين فى الفكر الإسلامى،د/ محمد جلال شرف، دار المعارف ، مصر، ط: الأولى ١٩٧٢م ، ص ٩٥.

إلي إدراكه هو : التعقل والنظر وصفاء النفس، فكلما كانت النفس صافية مرتفعة عن الشهوات واللذائذ الحسية، منصرفة إلي البحث والنظر كانت أقرب إلى الاتصال بالعقل الفعال والوصول إلى الكمال. فالكمال الإنساني يمكن الوصول إليه حسب نظرية ابن باجة عن طريق التدرج في معرفة الصورة المعقولة من أدناها أي من الصور المادية إلى أعلاها وهي الاتصال بالعقل الفعال.

ومن هنا فإن ابن باجة يذهب إلى أن المعرفة العقلية لاتتهيأ لكل الناس، ولا يدرك المعرفة العقلية الخالصة إلانفر قليل من الناس وهم: المتوحدون.

وفي كتاب «تدبير المتوحد» يعرض ابن باجة خصائص الإنسان الكامل أو المتوحد الذي يصل إلى المعرفة العقلية الخالصة، فالإنسان الكامل لديه هو الذي يختار المراحل السابقة ويتصل بالعقل الفعال، ويدرك الحقيقة الكلية عن طريق العقل، ويتهيأ له ذلك عن طريق:

١- الأفعال الصادرة عن الروية والتأني.

٢- الفعل الحر الاختياري الذي يكون له غاية يعقلها الفاعل وهذا هو العقل الحق الذي يختلف عن العقل البهيمي الذى لا غاية له.

٣- أن تكون نفسه صافية غير عالقة أو متحركة بالشهوات واللذائذ الحسية، وبذلك يكون مهيأ للعروج والوصول إلي العقل الفعال.[١]

وبهذا يتضح أن الإنسان الكامل أو المتوحد عند ابن باجة هو وحده الذي يستطيع أن يصل إلى مرتبة العقل المستفاد، وهذا يدل على أن متوحد ابن باجة يشبه كل الشبه حكيم الفارابي الذى اختصه من بين الجماهير بالخلود لبلوغه درجة العقل المستفاد، واتصاله بالعقل الفعال.[٢]

١- تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المغرب ،د/ محمد ابراهيم القيومى،ص ٣٧٦.

٢- الفلسفة الإسلامية فى المغرب،د/ محمد غلاب، ص ٤٠.

المعرفة الإشراقية عند ابن باجة:

إذا كانت المعرفة العقلية عند ابن باجة تتحقق للإنسان عن طريق العقل باختياره وإرادته، فإن المعرفة الإشراقية تكون خارجه عن نطاق القدرة الإنسانية، وخارجه أيضا عن الإرادة، ولا يستطيع السيطرة عليها، إنما هي نوع من الإشراقات التي قد تأتي في أوقات خارجة عن نطاق إرادة الإنسان، فلا تخضع لعقل ولا لمنطق ولا يستطيع الإنسان السيطرة عليها وقت حاجته إليها.[١]

وهذا النوع من المعرفة يحصل لأصحاب الفطر الفائقة، «وهي الفطر التي تعلم الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والسعادة التي هي بقاء لافنا، معه، وسرور لاكدورات معه. والعلم. . . في أن يرى بصيرة نفسه، التي هي موهبة من- الله عز وجل- الموجودات»[٢].

مراتب المعرفة الإشراقية:

يري ابن باجة أن هذا النوع من النوع من المعرفة يحدث للإنسان بلا اكتساب أو تعلم، وإنما هو موهبة من الله عز وجل- ،«وهذه الموهبة من الله عز وجل، التي هي بصائر القلوب، تتفاضل في الإنسان تفاضلا عظيما، وأعظم البصائر الموهبة من الله عز وجل:

١- **بصائر الأنبياء**- صلوات الله عليهم- يعلمون الله عز وجل ومخلوقاته حق علمه، ويرون ببصائرهم الفائقة في نفوسهم ذلك العلم العظيم دون تعلم ولا اكتساب.

١- تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب، ص ٣٧٧.

٢- رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة، جمال الدين العلوي، دار الثقافة- بيروت، دون، القسم الثاني،ص ١٧٥.